**توك التقدم المحرز في م**

**التعليم في زمن كورونا: التحديات والفرص**

1. **شهباء خزعل ذياب**

تهدد جائحة كورونا التقدم المحرز في مجال التعليم في جميع انحاء العالم من خلال صدمتين رئيسيتين ولد ازمة مركبة بسبب:

* الاغلاق شبه العالمي للمدارس على مستوى جميع المراحل
* الركود الاقتصادي الناجم عن تدابير مكافحة الجائحة

ان هذه التحديات تفاقم بتداعياتها وآثارها نواتج التعليم، حيث تسببت فعلياً في تبديد وهدر للموارد وزيادة نسب التسرب وازدياد عدم المساواة مما اوجد آثار عميقة على التعليم، من جراء إغلاق المدارس في جميع أنحاء المعمورة تقريباً، الأمر الذي شكل صدمة متزامنة تضرب جميع الأنظمة التعليمية.

ومن المنتظر أن تتفاقم الأضرار سوءاً لما سيسببه الوضع الصحي الطارئ من كساد عالمي عميق.

لقد جاءت جائحة كورونا لتشكل زلزال عنيف صدمت الحياة الإنسانية عموماً، وهذه الجائحة تختلف عن جميع التحولات التي تشهدها بلدان العالم. إذ كشفت عن تجليات وتأثيرات واسعة وخطيرة على مجمل مؤسسات الدولة والمجتمع، وكانت الجائحة أكثر من كونها قضية بايولوجية، حيث يتجلى تأثيرها في مختلف الفنون والعلوم، وأصبحت الشغل الشاغل للرأي العام، وللإنسانية جمعاء. لقد طرح انتشار الجائحة تساؤلات منهجية، حول طبيعة الفضاءات والامتدادات لهذه الازمة التي هزت بعمق الكيان الاجتماعي والوجدان الجمعي للمجتمع، حيث يكره فيها الناس على ملازمة مساكنهم.

لقد مثلت جائحة كورونا استهدافاً لخلخلة المصداقية الراسخة في ادراك المجتمع الإنساني لكفاءة منظوماته التعليمية وخدماته التربوية التي تقف أمام امتحان صعب وتحدي شرس لم تشهده الإنسانية خلال العقود الماضية.

لقد كان هذا الامر بكل ابعاده وتجلياته مفاجئاً لكافة الاختصاصات العلمية ولا سيما المختصين في الاقتصاد وعلم النفس والعلوم الطبية ضمن حقل جديد لم يألفوه، ووجدوا أنفسهم في فضاء جديد لم يعطهم الفرصة. وبات يطرح الكثير من الأسئلة لعل في مقدمتها: كيف ستكون أنماط التنشئة والتربية في زمن كورونا، وكيف سترسم ملامحها تحت طائلة الصدمات الكونية.

لقد وضعت الجائحة الأنظمة التربوية والتعليمية على المحك، ليهز أوصال الأنظمة التقليدية، وتهدد أنماط التنشئة والتربية التقليدية، فالمدارس والمؤسسات اليوم فقدت تحت تأثير الجائحة الكثير من تألقها، وهذا المتغير الجديد وضع الانساق الاجتماعية والتربوية أمام مسؤولية جديدة تحتاج باستمرار الى تأطيرها وإيجاد الحلول لمتغيراتها وتداعياتها وتحديد معالم الاستجابة لمواجهتها. ففي ظل جائحة كورونا باتت الاسرة تعيش أوضاعاً جديدة، يتكدس فيها الأطفال في المنزل، ولا تستطيع الاسرة أداء وظائفها الحيوية، في التنشئة بشكل عام والعملية التربوية بشكل خاص، ضمن فضاء طبيعي (تربوي/ أخلاقي/ اجتماعي)، تتكامل مع بعضها لتشكل شخصية الطفل. فالمدرسة تشمل جوانب قيمية واخلاقية وتربوية، وهي ضمن هذا الاتجاه تفقد الكثير من وظائفها التقليدية.

ان ابرز تجليات المشهد في ظروف الجائحة بروز مشكلات اجتماعية جديدة وخطيرة تهدد حضيرة المجتمع ومنها ارتفاع معدلات العنف ولا سيما الاسري/ وارتفاع معدلات الانتحار والافقار لقدرات الاسرة في أداء واجباتها.

لقد شهدت المرحلة المنصرمة بروز اشكال جديدة من الانحرافات السلوكية منها:

* ارتفاع نسب الجرائم الإلكترونية، فهناك استغراق كبير للأطفال والشباب للعب واستخدام الإلكترونيات الحديثة بسبب الفراغ والقيد المفروضة عليهم للبقاء في البيوت. مثلاً قيام بعض الأطفال بجرائم قتل بنفس الطريقة التي يقومون بها في اللعب.
* ارتفاع في المشكلات الاجتماعية كالخلافات الزوجية/ الطلاق/ الضغوط على الاسرة.
* ارتفاع في معدلات الامراض النفسية المنشأ بايولوجية الاعراض كالكآبة والقلق والسكري وضغط الدم وغيرها.
* المشكلات الصحية للأطفال الناجمة عن الثورة الرقمية وانتحار الأطفال بسبب شدة استخدام الأدوات وكثافتها.

مقابل هذه التأثيرات ما تزال المنظومات الصحية تواجه الكثير من الإشكاليات البنيوية منها:

* ما تزال الفجوات المكانية في التنمية تعكس مستوى وكفاءة متدنية في الخدمات الصحية من جهة وضمان التغطية الشاملة من جهة أخرى، لاسيما في المناطق الريفية، وفي مقدمتها خدمات رعاية الأمومة والطفولة، والتوعية الصحية، والخدمات الوقائية وغيرها.
* التغير في انماط الحياة والمؤشرات الديموغرافية: يواجه العراق تزايد في معدلات نمو السكان، بلغت عام 2020 أكثر من 7 مرات ما كان عليه في الخمسينيات من القرن الماضي. وإذا استمرت معدلات الخصوبة العالية ضمن المعطيات الراهنة، سيتضاعف بوتائر عالية. ويشكل الاطفال النسبة الاكبر في الهرم السكاني. مما يشكل ضغطا على نظام الرعاية الصحية، ويعكس عدم التناسب بين احتياجات الرعاية الصحية والنظام الراهن.
* ما تزال المنظومات الثقافية التقليدية تفرض مناخاً سلبياً أمام الكثير من الجهود والمبادرات لتطبيق وتنفيذ الممارسات الصحية وفق المعايير الدولية، حيث تقف عائقاً أمام أي جهد تنموي صحي، بسبب تدني المستوى التعليمي والمعرفي وهيمنة الاتجاهات والممارسات الخرافية والعادات البدائية لا سيما بعد انتشار جائحة كورونا.
* تعاظم تأثيرات ازمة كورونا وتداعياتها على النساء والفتيات فغيابها ساهم في الحد من قياس الاثر الحقيقي لأزمة الجائحة على تعليم النساء ولا سيما في مجال تزايد معدلات العنف بسبب الحظر الشامل وتزايد معدلات الرعاية غير مدفوعة الاجر من قبل النساء نتيجة سياسة الاغلاق الكامل وتوقف التعليم التفاعلي لصالح التعليم الالكتروني وبقاء الاطفال او كبار السن في المنازل مما زاد من اعباء النساء وضاعف من مجهوداتهم .

وعلى الرغم من التقدم الذي حققته العديد من البلدان خلال العقد الماضي في تحسين رأس المال البشري. إلا ان انتشار جائحة كورونا اليوم شكل تهديداً مباشراً وغير مباشر للكثير من الانجازات والمكاسب التنموية، وهو ما يتطلب استجابة سريعة ومدروسة عبر سلسلة من الإجراءات المحكمة لحماية أوجه التقدم التي تحققت بجهد وعناء في رأس المال البشري، ولا سيما بين الفقراء والفئات الهشة (Vulnerable Groups). وتصميم التدخلات اللازمة واستهدافها لتحقيق أعلى فاعلية.

ان الخطوة الأولى لخلق حالة التعافي والتكيف الناجح التركيز على إجراءات حماية الصحة والسلامة، وبذل كل ما في الوسع لمنع حدوث خسائر في التعلم في صفوف الطلاب، من خلال التعلم عن بُعد. وفي الوقت نفسه، يتعين على القائمين في البلد أن تبدأ التخطيط لإعادة الأدوار التنموية للمدارس والجامعات. ويعني ذلك منع التسرب، وكفالة الظروف الصحية للمدارس، والاستعانة بتقنيات جديدة لتشجيع التعافي السريع لع لمية التعلم في المجالات الرئيسية، بمجرد عودة الطلاب إلى المدرسة. وعندما يستقر النظام المدرسي، فبوسع البلدان توظيف العمل المركز والابتكار اللذين اتسمت بهما فترة التعافي في” إعادة البناء على نحو أفضل". المهم: عدم تكرار إخفاقات الأنظمة التعليمية القائمة قبل جائحة كورونا، بل العمل على تحسين الأنظمة وتسريع تعلم جميع الطلاب.

وتقليص فجوة عدم المساواة؛ وستؤدي الصدمة الاقتصادية إلى تفاقم الضرر، من جراء تراجع العرض والطلب في مجال التعليم، نظراً للضرر الذي يلحقه بالأسر المعيشية؛ وكلاهما سيضران بتراكم رأس المال البشري وآفاق التنمية والرفاه على الأمد الطويل.

ختاماً نقول ان أزمة كورونا وان كانت أزمة عابرة ولكن ستبقى تأثيراتها التربوية والعلمية الاجتماعية ثقيلة لزمن غير محدود، وهذا ما يدعو الى إيجاد مسارات جديدة لسبر أغوارها والاستعداد للاستجابة لتداعياتها. وهنا اتوقف عند تصريح عالم الاجتماع الفرنسي أتالي (مستشار الرئيس الفرنس الأسبق)، الذي يؤكد ان جائحة كورونا ستعيد صياغة العالم من جديد، عالم ماقبل الجائحة وعالم ما بعدها. عالم ما بعد الجائحة سيدفع الى الاهتمام بالمهن الصديقة او الأقرب لحياة الإنسان (المهن الطبية/ التغذي/ خدمات التعليم والتمريض وغيرها)، ويبتعد عن مهن أثقلت موازنات الدول وعجزت عن مواجهة فايروس لا يرى بالعين المجردة.

نأمل ان تؤسس هذه الحوارات والنقاشات قاعدة رصينة لبناء مرتكزات الاستجابة لتحديات جائحة كورونا في عالم يتغير بإيقاع غير مسبوق.